كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الأستاذة: نسيمة غضبان

المستوى/التخصص:الأولى ماستر /اللسانيات العربية(الأفواج : 1-2-3)

المقياس :بيبليوغرافيا علوم اللسان العربي الحديثة

عنوان الدرس التطبيقي:جهود المصرفي اللغوية من خلال كتابه الوسيلة الأدبية

المدة الزمنية: ساعة ونصف

الأهداف التعليمية:

- التعرف على الجهود اللغوية التي قدَّمها حسين المرصفي من خلال كتابه

1/التعريف بالمؤلّف

حسين المرصفي (1815-1889) هو شيخ الأدباء في عصر الخديوي إسماعيل، أستاذ الطبقة الأولى من دار العلوم، نشأ في أسرة علمية ؛حيث كان والده أحمد المرصفي من أئمة العلم في عصره.

درّس الشيخ حسين المرصفي بالأزهر، كما درّس في دار العلوم عند إنشائها.

ولد سنة 1815م في قرية مرصفا بمحافظة القليوبية. كف بصره وهو صغير في الثامنة من عمره،وكان والده الشيخ أحمد أبو حلاوة المرصفي من كبار علماء الأزهر، وقد أتقن الفرنسية عن ظهر قلب كتابة ونطقاً، على طريقة برايل للعمى. اختير ليلقي محاضرات في دار العلوم عام 1882 م ،برع في الشعر والأدب، وتخرج على يده محمود سامي البارودي – أحمد شوقي – حفني ناصف وغيرهم.

قال عنه علي مبارك في الخطط التوفيقية ، أنه كان من أجلاء العلماء وأفضلهم ،وله اليد الطولى في كل فن. وتوفى العلامة حسين المرصفي عن عمر يناهز 75 عاماً.

2/المباحث اللغوية في الكتاب

الوسيلة الأدبية إلى العلوم العربية ،هو أشهر كتبه وأهمها، ومن الممكن أن نعده دائرة معارف أدبية أو موسوعة عربية متكاملة، أفاض المرصفي في الحديث فيها عن علوم العربية من: نحو وصرف وبلاغة

وعروض وقوافي (موسيقى الشعر)، إلى جانب حديثه عن الشعر، وفنون الكتابة والإنشاء، وتاريخ نشأة الفنون، وتدوين العلوم، وتاريخ التربية، وطرائف الأدب.

وقد أملى المرصفي كتابه على الشيخ حسن أبو زيد سلامه، وهو نفسه الذي أشرف على طباعته فيما بعد.

تظهر القيمة الحقيقية لهذا الكتاب، في كونه ملهما ومؤثرا في التكوين الأدبي للرعيل الأول من مبدعينا في الشعر والأدب والنقد، فقد أسهم بشكل كبير في تغيير الذوق والحاسة الفنية، وكون مدرسة أدبية كان لها الفضل على أهل الكلمة والرأي والفكر والإبداع.

وفي المقابل فإن كتاب الوسيلة الأدبية، قد احتوى مجموعة من الأفكار والآراء الرائدة التي كان لها أعمق الأثر، في الوقت نفسه الذي ناقش فيه مجموعة من القضايا التي كانت تثار لأول مرة في العصر الحديث. ومن هذه القضايا:

*الحديث عن اللهجات العامية بطريقة موضوعية.

*الاتجاه نحو دراسة علوم جديدة، مثل: فقه اللغة.

الأصل في كتاب الوسيلة الأدبية: مجموعة المحاضرات التي كان يلقيها المرصفي على طلابه في دار العلوم، وتلك الطبيعة الخاصة للكتاب، هي التي أملت على الشيخ أن يجعل ا□لد الأول بمثابة التمهيد للأفكار التي يريد التحدث عنها، أو بالأصح: المدخل إلى الفنون الأدبية التي تناولها بعد ذلك في ا□لد الثاني. فقد اهتم في ا□لد الأول بالقواعد العامة، وتعريفات العلوم، كما اهتم أيضا ببعض المسائل النظرية التي تتصل بالأدب، وأيضا بالتأصيل النظري للمعارف الإنسانية.

ففي ا□لد الأول نقرأ حديثا نظريا عن العلم، وكيف أنه: صفة واحدة لها تعليقات كثيرة، عقلية: براهينها من جهة العقل، وتقسم إلى أقسام: الطبيعي، والرياضي، والإلهي. نقلية: دلالتها من جهة النقل، ومنها تفسير الكتاب (القرآن الكريم) والسنة (السنة النبوية المطهرة) والأحكام الشرعية، وعلوم اللغة العربية، وفنون الأدب

ثم يواصل المرصفي بعد هذا التأصيل النظري بتحديد العلوم التي سيتحدث عنها، ووضع تعريفات لها، **فاللغة** عنده هي : علم يبين صور الألفاظ وتعيينها للأشياء التي يفهمها العالم بوضعها لها، **والصرف**: علم يبين صيغ الألفاظ وكو□ا أصولا وزوائد متبادلة لحروف، وكيفية النطق □ا، **والاشتقاق**: علم يبين جعل الألفاظ أصولا ويتناول تفريعات بعضها عن بعض، **والنحو**: علم يبين أحوال أواخر الكلمات عند تركيبها، وتقديم بعض الكلمات على بعض بالجواز أو الوجوب، وذكر وحذف البعض الآخر وجوبا أو جوازا.

كما تناول تعريفات أخرى مثل: **علم المعاني** وهو علم يبين الأغراض المترتبة على إيراد التراكيب في صور مختلفة، وأن لكل صورة غرضا، أما **البيان**: وهو على ضربين المجاز والكناية، **والبديع**: وهو علم يبين أحوالا تعرض للفظ فتكسوه حسنا ورونقا، و**العروض**: وهو علم يبين الأوزان التي وزنت بها العرب شعرها، و**القوافي**: وهو علم يبين أحوالا تعرض لأواخر الأبيات منها ما يكون لازما، ومنها ما يكون زينة، ومنها ما يكون عيبا

وعرض أيضا **للإنشاء** وعرفه بأنه: علم يبين كيفية تأليف الخطب ورسائل المخاطبات وما أشبه ذلك، . ويسمى فن الكتابة والنثر، وصاحبه يدعى الكاتب أو الناثر، وعرف **النظم** بأنه القريض، وقرض الشعر علم يبين كيفية النظم في الأغراض المختلفة من حكم، ووعظ ،ونسيب، ومدح،وعتب ،وتعطف، وتأديب وغير ذلك.

ومهما كان اختلافنا مع الشيخ المرصفي في بعض التعريفات التي أوردها، فإنه يجب مراعاة عصر الرجل وأحواله الثقافية والعلمية والإبداعية التي انطلق منها في كتاباته.

وقد أنهى المرصفي المجلد الأول بخاتمة تكلم فيها عن أحسن الطرق لتحصيل العلوم العربية، وفي هذا الفصل تتجلى ثقافة المرصفي الغزيرة وتفتحه على الجديد، وإحساسه بأن الحياة دائمة التجدد في كل شيء، ومن أجل ذلك يرى المرصفي: أننا بحاجة إلى تطوير علومنا ومناهجنا وتجديدها لنواكب تطور العصور وتغير الأحوال.

وإذا انتقل القارئ إلى المجلد الثاني وجد صورة مشرقة للجهد العلمي المتأني، والتذوق الجمالي النافذ، وانتهاج منهج يتلاءم مع التأليف في علوم البلاغة والأدب والنقد الأدبي.

وقد بدأ هذا المجلد بما سماه (المقصد الثالث في فنون البلاغة)، حيث تحدث أولا عن علم البيان، وتناول المجاز والاستعارة والكناية، ثم تحدث عن علم المعاني فتناول: الجملة وأجزاءها التقديم، التأخير، التعريف، التنكير، الحذف، الجمل الإنشائية، كما تحدث عن: الإيجاز، الأطناب، ثم تكلم بعد ذلك عن فن البديع مثل: حسن الابتداء، الجناس بأنواعه المختلفة، الاستطراد، التذييل، الترصيع، الاستدراك.

ثم تحدث عن فن العروض والقافية، وفصل الكلام عن موسيقى الشعر العربي، والبحور الشعرية، والقوافي، والتجديد في هذا الفن.

ثم تناول ما سماه (المقصد الرابع من الكتابة) وأفرده للإملاء، ثم بدأ بعد ذلك حديثا مستفيضا عن الإنشاء أو صناعة الترسل، وقسم هذا الباب، حيث سمى كل نوع منها جهة.

الجهة الأولى: فيما يجب تحصيله على من يريد أن يكون كاتبا أو أديبا، وتحدث في هذه الجهة عن صناعة الشعر، وأفاض في الحديث عن مشاهير الشعراء، موضحا وشارحا لعدد كبير من الأمثال العربية، كما قسم الشعراء ثلاث طبقات.

الجهة الثانية: وجعل لها عنوانا هو: (في أمور كلية) وتحدث فيها عن حسن الافتتاح.

الجهة الثالثة: وجعل لها عنوانا هو: (أمثلة تعين على تربية الذهن) وحشد فيها مجموعة من النصوص النثرية، متناولا إياها بالعرض والتحليل.

واستمر هكذا في هذه الفصول التي أسماها جهات، حيث برزت بوضوح موهبة المرصفي الفنية، وقدرته على تذوق النصوص الأدبية وتفسيرها وتحليلها، وإلقاء الأضواء الكاشفة عليها، وتحليل قيمها الفنية والجمالية، كما تجلت قدرته الذهنية واستيعابه، وطريقته البارعة في عمليات التناول والعرض.

3/ منهج الكتاب:

استخدم المرصفي في كافة أجزاء الكتاب أسلوبا علميا رصينا ،يقوم على الفحص والتحقيق والتدقيق والتأمل العميق، وبالتالي تمكن من الوصول إلى نتائج محددة وواضحة.

كان المرصفي حريصا على نسبة كل ما ينقل إلى صاحبه، ولم يخرج عن ذلك إلا في حالات قليلة ونادرة، وهو لا يكتفي بذكر اسم المؤلف الذي ينقل عنه بل يضيف إلى ذلك نعته بما يراه أهلا له من النعوت، وذلك للدلالة على تقديره وإعجابه بمن ينقل عنه.

والحق يقال إن هذا الحرص في نسبة النقول إلى أصحا�ا لم يكن يراعى بشكل كبير في مؤلفات هذا العصر، وقد سهل ذلك على أهل البحث في كتاب المرصفي أن يميزوا بين آرائه وآراء من يستشهد بأقوالهم.

حرص المرصفي عند مطلع كل باب من أبواب كتابه أن يستحضر تاريخ العلم الذي يتناوله، موضحا تطوره، ذاكرا أهم أعلامه، فيبدأ حديثة ببضعة سطور تكون بمثابة التأريخ للفن الذي يدور حوله كلامه.

في بداية تناوله للمقصد الثالث من فنون البلاغة، تناول في إيجاز وقصد نشأة علم البلاغة وتطوره، فيقول: وأول من تنبه لاستخراج هذه الفنون واتخاذها معيارا لصناعة الكلام حسب ما تقتضيه الشاعران مسلم بن الوليد، وأبو تمام حبيب بن أوس الطائي، ثم أخذ يتابع تطور هذا العلم حتى وصل إلى الناقد الكبير عبد القاهر الجرجاني.

وقد تنبه المرصفي في تلك المقدمة التاريخية إلى دور المتكلمين وفلاسفة الإسلام في تغيير الحاسة الجمالية، وتطوير البيان العربي والبلاغة العربية.

على الرغم من استغراق الشيخ المرصفي في الكتب القديمة، وطول صحبته لها، وأخذه عنها، فإنه ترك تقسيمًا وتفريعًا وتبويبًا القديمة المألوفة، حيث يجده القارئ لا يستعمل في التقسيم والتبويب ألفاظا تقليدية مثل: المقدمة، والفصل، والكتاب...، ولكنه استخدم ألفاظا جديدة مثل: الصدر، والجهة، ونحو ذلك

ترك المرصفي نفسه على سجيتها في كتابه (الوسيلة الأدبية) فكان كثير الاستطراد، يخرج من موضوع إلى موضوع، ما دام يرى في ذلك الخروج أو الاستطراد إضافة وفائدة للموضوع الذي يتناوله، فقد يكون موضوع كلامه عن قاعدة نحوية وشرحها، ولكنه يجد المجال يدعو إلى الاستطراد فيخرج من موضوع القاعدة إلى موضع أدبي ساقت إليه المناسبة.

فنراه مثلا: في كلامه عن **حذف كان واسمها** يتطرق إلى مقامة من مقامات الحريري، وهي المقامة النحوية، ويفيض في الحديث عنها ،ملتمسا من طلابه أن يمعنوا أنظارهم في كيفية سياقها ،مفسرا ما في المقامة من الأحاجي والألغاز النحوية، وقد استغرق هذا الاستطراد نحو عشر صفحات من كتابه، لم يجدها المرصفي كثيرة على هذا المقام.

أكثر المرصفي في وسيلته الأدبية من الاستشهاد ما بين آيات قرآنية كريمة، وأحاديث نبوية مطهرة، وأشعار، و أمثال، وحكايات، ونوادر. كان قصده أن يمد القارئ بأكبر قدر مستطاع من الشواهد التي تعين على تربية الملكة الأدبية، وتحسين الذوق، وقد أعانه على ذلك حفظه لكثير من جيد الشعر والنثر، وكان يدعو طلابه إلى الإكثار من الحفظ، وبخاصة روائع الشعر العربي.

خلص شيخنا المرصفي العلوم العربية، وخصوصا النحو والبلاغة ،من الشوائب والمتناقضات والتعقيدات، التي كانت موجودة في كتب الأقدمين، وبذلك مهد بكتابه القيم السبيل لكتب جديدة في قواعد اللغة العربية، والبلاغة، والنحو، والصرف ،ألفها متخرجون في دار العلوم من تلاميذه وتلاميذ تلاميذه.

ملحوظة : للتوسع ينظر المراجع الآتية

– حسين بن أحمد المرصفي، الوسيلة الأدبية إلى العلوم العربية، تحقيق عبد العزيز الدسوقي، مركز تحقيق التراث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1991

– أميمة عبد الرحمن و منال غنيم، من مصادر التراث الأدبي، كلية الألسن، جامعة عين شمس، القاهرة، 2009

– عمر الدسوقي، الأدب الحديث، الجزء الأول، دار الفكر العربي، القاهرة، بدون تاريخ نشر محمد عبد الجواد، الشيخ الحسين بن أحمد المرصفي، دار المعارف، القاهرة، 1952

– عبد الغني حسن، الوسيلة الأدبية للحسين المرصفي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1996

– محمد مندور، النقد والنقاد المعاصرون، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، بدون تاريخ نشر

– الكيلاني بن منصور، المرصفي ودوره في ثورة النقد الأدبي العربي الحديث، مقال منشور في صحيفة الشروق التونسية بتاريخ: 8 يوليو/تموز 2010